كيفية بناء وتشكيل بيئة الجاموس العراقي في قاعة معروضات المتحف (خزان الجاموس)

م. م. محمود حسين عبد الرحمن حسين

جامعة بغداد/ مركز بحوث ومتحف التاريخ الطبيعيّ

ahmed.mahmoud2005 @ googlmail.com

الملخص:

لحيوان الجاموس أهمية اقتصادية كبيرة أولت الكثير من دول العالم اهتماماً واسعًا به، ولم يحد مركز بحوث التاريخ الطبيعي عن هذا الاهتمام فقد بادر بتهيئة مكاناً مناسباً له في قاعة معروضات المركز كنوع من الدعاية الايجابية التي تسهم من قريب أو بعيد للتعريف بهذا الرافد الاقتصادي الكبير الذي يسند الروافد الاقتصادية الأخرى للعراق. فقد خصص له خزاناً متميزاً في القاعة.

المقدمة:

حاول الإنسان الأول منذ بداية حياته في العصور الحجرية القديمة أن يقف على أسرار الطبيعة كونها المؤثر الأول والمباشر عليه فمنها قوته ومأمنه لذلك جسدها في لوحات لا تخل من الجمال إذ كانت نظرته إليها من منظر السحر الذي يجلب له فوائد اقتصادية فحسب، فكانت هذه اللوحات مصدر اندهاش إلى اليوم لاسيما وإنها نُفذَتْ على جدران الكهوف وسقوفها وعلى الصخور المختلفة بل حتى على العظام والأصداف والعاج وغيرها. وبمرور الدهور والعصور أخذت هذه المشاهد تحاكي الطبيعة ، فتارة يرسم الحيوانات المتنوعة وحدها وتارة يرسمها مطاردة من قبل الإنسان وتارة أخرى في مستنقع للمياه وأخرى في الغابات، وخير دليل على ذلك ما تركتها أيادي ابن الرافدين وابن النيل على جدران القصور والمعابد والزقورات والأهرامات بل حتى على الفخار والرقم الطينية شواهد طبيعية ناطقة كان الغرض من اغلبها هو التفنن في محاكاة الطبيعة إرضاء لإله أو ملك أو رغبة من لدن الفنان التمتع بجمال هذه الطبيعة. وبعدها انتشرت في الحضارات كافة منها الإغريقية والرومانية والهيللينستية والساسانية وأقاليم الشرق المختلفة وانتهاء بالحضارة الإسلامية التي تميزت في محاكاتها للطبيعة بشكل خاص بل كان لها الريادة في ذلك حيث اعتمدت على التسطيح والأساليب الزخرفية المتنوعة في تلك المحاكاة وتجسيد الواقع بدقة اكسبها هويتها الخاصة بها، وما رسوم الواسطي إلا أدلة وشواهد تاريخية ناطقة لمثل هذه الأنواع من الفنون. [١]

وفي الفنون الأوروبية شواهد لا غنى عنها في معالجة بيئات فنية متعددة حسب تعدد بيئات الفنانين المختلفة بوصفهم أفراد تميزوا عن غيرهم بالإبداع لان الفرد نقطة البدء بكل شيء

فعلى سبيل المثال لا الحصر يُلاحَظ لوحة المونوليزا للفنان ليوناردو دافنشي الذي رسم (بورتريت)، ورسم خلفه منظرا طبيعيا ، لماذا؟ ربما أراد أن يحرك المشهد الشخصي الذي يطغي عليه الجمود وان حركته بعض الابتسامة المبهمة التي ارتسمت على الشفتين. وبعده ظهر فنانون عدة كان لهم حضورا واسعا في الإبداع لمثل هذه الفنون منهم (كونستابل وديلاكرواه) الذين مهدا وبشيء من الطموح للخروج من سجن الكلاسيكية والولوج إلى أغوار الطبيعة الناطقة ، لشحن همم الذين أتوا من بعدهم ليؤسسوا اللبنة الأولى للانطباعية التي كانت بحق انقلابا واسع الأهداف تمثل في هجر القاعات والمراسم الصماء والاتجاه صوب الطبيعة الناطقة لتنفيذ مشاهدها مباشرة وبأوقات عديدة لتجسيد مشهدا واحدا أو أكثر وبأساليب مختلفة منهم أيضا على سبيل المثال لا الحصر (مانيه) و(مونيه) و(رينوار) و(بول كوكان) و(بول سيزان) (فان كوخ) استعمل الأخير أسلوبا غريبا خلال حياته الفنية للتوحد مع الطبيعة فكانت تقنيته في الرسم تتميز بضربات غير منتظمة بالفرشاة دون منهج أو نظرية فنية لكنه بهذه الطريقة كان يترك ضربة الفرشاة واضحة بشكل يوضح التفاصيل ويعطي للألوان بعدا حقيقيا درامايتيكيا يقربه من محاكاته للواقع حسب رؤيته. (٢)

وجد الفنان العربي في تلك الفنون مدخلا مشجعا للتعبير عما يدور في خلجات نفسه ومحاكيا واقعه الاجتماعي ومتخذا منه عناوين مختلفة لأعماله التي ذاع صيتها في السنين اللاحقة من تاريخ الفن العربي الحديث. فبعدما تقيد بالأسلوب الانطباعي الذي استلهمه من الفن الأوروبي وحده عمد إلى الأساليب كلها التي انبثقت من مبدأ تغيير الشكل الخارجي للطبيعة المرسومة ومثال ذلك المدارس التي وُلدت من رحم الانطباعية ومن بعدها التعبيرية والتجريدية والتكعيبية. ومن ثم أصبحت تجاربه الفنية عبارة عن سلسلة من التجارب لتطبيق نظرته التبسيطية على عدد من الأساليب الحديثة.

تضمنت هذه الدراسة على مقدمة ومحورين اثنين، أما المقدمة فذكر فيها الباحث التطور التاريخي للمحاكاة الطبيعية أي أثر البيئة على الفنان بدءا من رسوم الكهوف والى يومنا هذا. وذكر فيها مشكلة البحث التي افترضها الباحث بالنقاط الآتية:

١. ماذا تعني البيئة الطبيعة ؟
٢. ما هي الأساليب والتقنيات المتبعة لتمثيل الفن البيئي الخاص بحيوان الجاموس؟
٣. كيفية الاستفادة من الفنون التشكيلية (الرسم ، النحت) في بناء وتجسيد البيئة الطبيعية لحيوان الجاموس العراقي؟

وكان الهدف من هذه الدراسة، هو بناء وتجسيد البيئة الطبيعية لحيوان الجاموس العراقي بوساطة الفنون التشكيلية من رسم ونحت باستعمال وسائل عدة مصدرها الطبيعة كالحجر والتراب والقصب والبردي، فضلاً عن بعض الطيور المحنطة كعناصر أساس وجمالية وواقعية في تكوينها.

والتعرف على التقنية التي نفذت بها، يلي هذه المقدمة المحور الأول الذي عالج: اثر البيئة في حياة الفنان. والمحور الثاني عالج: بيئة الجاموس. إجراءات البحث. ثم أهم النتائج، بعد ذلك ذكر أهم المصادر التي اعتُمِدت في هذه الدراسة.

المحور الأول/ اثر البيئة في حياة الفنان:

البيئة هي المكان الذي يحيى ويموت فيه الإنسان ويمارس فيها نشاطاته المختلفة ، حيث تؤثر في سلوكه العام والخاص. وهناك أنواع مختلفة من البيئة وهي البيئة الصحراوية والجبلية والبيئة المتكونة من الأهوار والمستنقعات كذلك البيئة الجوية المتغيرة والبيئة الاجتماعية. (٣)

إن هذهِ الأنواع من البيئة يجب أن تدرس بشيء من التفصيل عند التطرق إلى أسلوب فنان ما، وعند معرفة خصائص هذهِ الأنواع من البيئة ،يمكن التوصل إلى المؤثر الحقيقي في أسلوب الفنان هذا، (أن التأكيد استقر على أهمية دراسة التفاعل بين متغيرات الكائن ومتغيرات المحيط وإيجاد العلاقات بينهما) (٤)، على أن الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان والبيئة الاجتماعية وما تحويها من بيئات مشيدة كالعمارة ومن ضمنها ما تركه الفنان المسلم من مآثر معمارية مختلفة كالمساجد والقلاع والأبنية المتنوعة التي تحمل فيها عناصر ذات طابع ابتكاري جميل كالقباب(٥) والمآذن والأقواس المختلفة الأحجام والأنواع وقد زينتها الزخارف الهندسية والنباتية والمركبة منهما التي يمارس الفنان فيها حياته والنشاط اليومي كله يؤثر في تكوينه الجمالي ، فالطبيعة تقدم العديد من الجوانب التي تثير البهجة والسرور(٦). لذلك يُرى في الطبيعة الظل والضوء والحياة والموت والحركات الصوتية والهدوء والمطر وسقوط الثلوج وهدير مياه الشلالات والعواصف الرملية الصحراوية وغيرها كثيرة فكل تعطي للإنسان نوعاً من الإثارة تجعله أن يفكر بان يحاكيها أو يعبر عن ذلك بأي شيء كذلك تكون الضرورة أن تقتضي من الفنان أن يحول تجربته إلى لون من ألوان التعبير بحيث يسلمه أداءه الفني عنها إلى تعميق أحساس الإنسان بالعالم وبالأشياء المحيطة به(٧).

يُرى حياة الإنسان في الريف والصحراء مثلا تتميز بقسوتها وجفافها وسيطرت عليها حياة الإنسان البدائي القديم على اقرب ما يكون، فأغلب سكان الصحراء من البدو الرحل متنقلين من مكان إلى آخر تبعاً لمصادر العيش كالماء والكلأ ، ومع أن حياة هؤلاء الصعبة واهتمامهم بالعيش، فأنهم أيضا امتازوا بالتفنن مثلا في الأزياء والوشم والأصباغ وخاصة الحناء فضلا إلى ذلك الحياكة بأنواعها المختلفة. أن هذهِ البيئة تمثل تراثهم الأصيل، وان الفنان فيهم لا يستطيع أن يتجاوز مجتمعه بل يحاول التفاعل معه لأنه منه، فيكون مثل السمكة في الماء ترتفع درجة حرارة جسمها بارتفاع درجة حرارة الماء وتنخفض بانخفاضه (أن لكل فرد دافعٌ يدفعه للانتماء إلى جماعة معينة من البشر ويحتاج إلى تقديرهم وحبهم واحترامهم لهم . أن هذا كله لا يتم إلا بالتفاعل

معهم وتقبل القواعـد والأحكام والأعراف الاجتماعية السلوكية السائدة لديهم. والتي اتفق على أن نسميها (بالمعايير الاجتماعية للسلوك). [٨]

لذلك فعلى الفنان أن يعيد النظر في بيئته والتربة المحيطة بهِ وأن يكون أمينا بدراسته لمجتمعه ويعرض عيوبه وينقب عن تفاصيل الحياة اليومية ، وما طرا عليها من تغيير وتطوير ورصد الأحداث لبذر أجمل الأفكار وأحسن الصور وتهيئة الجو المناسب والصالح ، وينشر في أرجاء بيئته (الفنان)، أروع ما أنتجه فكره من قيم حقيقية نافعة تسود المجتمع وتطرد الشوائب الزائفة الدخيلة عليه ، لذلك فان التأثيرات البيئية تجعل الفنان الحذق العريق أن يفكر وان هذا التفكير يجعل منه أن يبتكر ويبدع لينتج بعد ذلك عملا ما بتأثير هذه البيئة، ((من المؤكد مع ذلك انه لا يمكن أن يقوم فن بدون فكر ، اللهم إلا إذا أمكن أن يقوم شكل بدون مضمون ، أو صورة بدون موضوع ....)) [٩].

المحور الثاني/ بيئة الجاموس:

يُعدُّ الجاموس من الحيوانات الواسع انتشارها في الأهوار والمستنقعات وبمحاذاة الأنهار كما في وسط وجنوب العراق إلا إن وجوده في الاهوار أكثر وبأعداد اكبر وفيما لا يقبل الشك والجدل قد اكتسب هوية أهل تلك الاهوار فلا يخلو بيت منه على الإطلاق نظراً للفائدة الملحة لأهله فضلاً عن كونه لا يحتاج إلى عناية كبيرة قياساً إلى بعض الحيوانات الأليفة الأخرى وانه مصدر رزق كبير لمربيه، إذ تعايش مع ظروف البيئة القاسية، ولم ينل الجاموس الاهتمام الكافي على مدى العقود السابقة سواء من المراكز البحثية او من الدوائر الزراعية والبيطرية .

من ذلك الحيوان تعد أفضل أنواع القشطة المصنوعة من الحليب والتي تسمى محليا بـ"القيمر"، ومن حليبه الدسم جدا أيضا تعد أنواعاً مختلفة من الاجبان من أشهرها جبن الضفائر .ولأن حيوان الجاموس منتج بغزارة فإنه مرغوب جدا في تلك البيئة، وأثمانه مرتفعة، بل ربما يعتبر الحيوان الأغلى ثمنا في بيئة الاهوار. إن تربية الجاموس و النهوض بواقع حال هذه الثروة سينعكس بشكل ايجابي في تنمية الاقتصاد الوطني، لاسيما ونحن اليوم بأمس الحاجة للبحث عن قنوات أخرى لدعم القطاع النفطي من أجل تنمية الاقتصاد الوطني، ويبدو أن النهوض بالثروة الحيوانية بشكل عام و الجاموس بشكل خاص سيوفر دعامة أساسية في توسيع قنوات النهوض باقتصاد البلد.

إن الواقع الحالي للثروة الحيوانية و الإنتاج الحيواني و تربية الجاموس في مناطق أهوار العراق بحاجة إلى إعادة تأهيل حيث أن ما يواجه هذه الثروة من معوقات و مشاكل و تحديات منها ما يتعلق بالحفاظ على هذا النوع الحيواني، يدعو الجميع إلى العمل الجاد وبشكل متكاتف لوضع الحلول المناسبة للنهوض بهذا القطاع لا بُدَّ أولاً من تحديد تلك المشاكل و المعوقات و من ثمّ رسم المقترحات و الحلول اللازمة للنهوض[١٠].

وفي ذلك أولت الكثير من دول العالم اهتماماً واسعاً بهذه الثروة ذات المردود الاقتصادي الواسع و تم التخطيط لكثير من البرامج العلمية والفنية التي تهدف إلى تطوير وتحسين وتنمية هذه الثروة من هنا بادر مركز بحوث ومتحف التاريخ الطبيعي العراقي احد المراكز التابع لجامعة بغداد من تهيئة مكاناً مناسباً لحيوان الجاموس العراقي في قاعة معروضات متحف المركز كنوع من الدعاية الايجابية التي تساهم من قريب أو بعيد للتعريف بهذا الرافد الاقتصادي الكبير الذي يسند الروافد الاقتصادية لهذا البلد العريق.

الاجراءات:

تحديد المكان: قاعة معروضات مركز بحوث ومتحف التاريخ الطبيعي العراقي/ جامعة بغداد.

المواد المستعملة: سمنت + جبس + حصو + رمل + قصب + بردي + ماء + الوان زيتية + الوان مائية + تمبرا + بوية + بنتلايت + الوان بخاخ (مختلفة) + قماش + خشب + دبابيس + سلك تسليح + شيش تسليح + طيور مائية محنطة.

المدة الزمنية: سنة واحدة

قياسات العمل: ٢م × ٤م على الأرض + ٣م × ٧م على الجدران.

التنفيذ: هو الشروع ببناء البيئة المناسبة لحيوان الجاموس العراقي، والصور أدناه تمثل هذا الحيوان مجرد من أي ملامح لبيئته من جميع جهاته.

بدأ الفنان (الباحث) بطلاء الجدران بالألوان الزيتية و(البنتلايت) ومن ثم توزيع المفردات والعناصر المختلفة التي تتواجد في الاهوار العراقية فيظهر طائر مالك الحزين الرمادي العملاق لوحة(أ) وهو يلتقط سمكة بمنقاره المدبب المعد لهذا الأمر من قبل الخالق تبارك وتعالى، ويظهر مقطع قريب له(لوحة ب). تقابل هذا الطائر من الأمام طيور البط مع افراخها وهي تتحرك بسرعة باتجاه مالك الحزين لتشاركه الابتهاج في سعادته المتمثلة في حصوله على غذائه المفضل(اللوحات: ت، ث، ج، خ، ر)، ثم الشروع برسم مفردات اخرى تشتهر بها بيئة الاهوار منها كوخاً من القصب يعلو تلك الطيور(اللوحتان: ج ، ض)، ثم احد المشاحيف الجميلة لصياد سمك متمرس(لوحة ص).

وبعد ذلك يتسع العمل ليشمل الأرضية التي يقف عليها حيوان الجاموس باستعمال الصخور والطابوق والسمنت ومادة الجبس والشِباك المعدنية ثم يبدأ العمل محاكيا البيئة الطبيعية ويعزز ذلك ببعض الحشائش والقصب والبردي وبعض الطيور المحنطة(لوحة: ت، ث، ح، خ، د، ذ،)، وفي (اللوحة ش) يظهر فم حيوان الجاموس وهو يلتقط الحشائش المتنوعة التي تحيط بالمكان نفسه .

تم توزيع الحشائش الحقيقية ونباتات القصب والبردي بصور تتناغم مع الواقع بأسلوب فني يتعارف عليه بـ(الكولاج) الذي يعطي بعداً جمالياً لدى مَن يشاهده ويتحسس ذلك الجمال. ليصل هذا العمل نهايته التي تكاد ان تكون مكتملة والكمال لله وحده . يُشاهد بان هنالك احد الزائرات وهي تقف أمام هذا المشهد بعد الانجاز (اللوحة ط).

لوحة (أ) طائر مالك الحزين الرمادي العملاق

لوحة (ب مقطع للطائر مالك الحزين الرمادي العملاق)

لوحة (ت) مقطع آخر لطيور البط مع افراخها

لوحة (ث)

لوحة (ج) كوخاً من القصب يعلو تلك الطيور

لوحة (ح)

لوحة (خ) بعض الحشائش والقصب والبردي وبعض الطيور المحنطة

لوحة (د) بعض الحشائش والقصب والبردي

لوحة (ذ) بعض الحشائش والقصب والبردي حول مرتفع طيني

لوحة (ر) بعض الحشائش والقصب والبردى وبعض الطيور المحنطة

لوحة (ز) القصب والبردى يعلو حيوان الجاموس المحنطة

لوحة (س) بعض الحشائش والقصب والبردي تحيط بمالك الحزين

لوحة (ش) فم حيوان الجاموس وهو يلتقط الحشائش المتنوعة

لوحة (ص) احد المشاحيف الجميلة لصياد سمك متمرس

لوحة (ض) مقطع لكوخ من القصب

لوحة (ط) المشهد الأخير للوحة ويُلاحَظ نسبة حجم العمل إلى حجم أحدى الزائرات ابنة الباحث (مروه محمود).

الخاتمة:

تمخض عن هذه الرحلة المباركة نتائج متعددة، استشف الباحث من رحيق سيلها الثر ما يأتي:

- إنَّ البيئة مكان الكائنات الحية ففيها الولادة والنشور والموت وهي على أنواع عدة كالصحراوية والجبلية والأنهار والجوية والاجتماعية، فهي تؤثر سبيا وايجابا في سلوكه كالسعادة والحزن والقوة والضعف.
- استعملت مواد طبيعية مختلفة في انشاء بيئة الجاموس منها القصب والبردي والتراب والطين والحجر ولحاء الاشجار وبعض الطيور المحنطة فضلا عن الجاموس المحنط (الموضوع الرئيس)، كذلك القماش والالوان الزيتية والبنتلايت والتمبر. نفذت بأساليب فنية متنوعة كالواقعية والتعبيرية والتجريدية.
- كان للرسم والنحت دورا رئيسا في انشاء هذه البيئة فمن خلالها تمكن الفنان من محاكاة البيئة الطبيعية للجاموس، حيث استطاع أن يوظفهما مع العناصر الطبيعية الاخرى بحركات واشكال مختلفة لتكون اقرب ما تكون به الى الواقع.

الهوامش:

١. برتيليمي، جان، بحث في علم الجمال، تر: الدكتور انور عبد العزيز، مراجعة الدكتور نظمي لوقا، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٠ ، ص٥٥.

٢. نوار، عبد العزيز سليمان وزميله، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر – القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص٢٩. باونيس، ألآن، الفن الاوروبي الحديث، تر: فخري خليل، راجعه: جبرا ابراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٩٤.

٣. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ١٩٨٢م، ص٢٢٠-٢٢١.

٤. الشماع، نعيمة، الشخصية، (النظرية ،التقييم ، مناهج البحث)، مطبعة جامعة بغداد، بغداد،١٩٨١م،ص١٤١.

٥. القبة شكل من الأشكال المعمارية التي تمتد جذورها إلى حضارة وادي الرافدين والنيل القبة من فنون الازج(وهو، مصطلح عماري يستعمل للدلالة على كل سقف شيد مقوساً، كما استعملت للدلالة على معنى مصطلحات أخرى، منها العقد، الطاق، القبو، ألحنية. ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٧٧. وكذلك: بطرس البستاني، محيط الفنون، ج١، ص١٩. الحديثي، عطا وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق، بغداد، مديرية الآثار العامة، ١٩٧٤، ص٨. الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصوله وفلسفته، ومدارسه، دار المعارف بمصر، ص١٣٢.

٦. محمد سعيد، ابو طالب، علم النفس الفني، مطبعة التعليم العالي بالموصل، الموصل، (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م)، ص٢٥٩.

٧. مجلة الكلمة، العدد الأول ، السنة الرابعة ،كانون الثاني ، مطبعة دار الساعة ، بغداد ،١٩٧٢م ،ص٤.

٨. السامرائي، هاشم جاسم، المدخل في علم النفس ، مطبعة منير، ١٤٠٨هـ _١٩٨٨م ، ص٩٢.

٩. ابراهيم ، زكريا ، الفنان والانسان، مكتبة غريب، القاهرة ، (د.ت)، ص٢٢٦.

How to build and the formation of the Iraqi buffalo (environment in museum exhibits hall (buffalo tank

Researcher

Mahmoud Hussein Abdul Rahman Hussein

Research Center and Museum of Natural / history of Baghdad

ahmed.mahmoud2005 @ googlmail.com

Abstract:

Animal buffalo great economic importance given much of the world wide interest in it, did not limit the Research Center of Natural History Iraqi This interest has initiated the creation of a suitable place him in the hall exhibits the center as a kind of positive publicity that contribute from near or far to the definition of this tributary strong economic assigns other economic tributaries of Iraq. Has been allocated a distinct a reservoir in the hall.